



رجب مُصنّر

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2024-01-22

عمان

الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

خواص الله في الأزمنة والأمكنة والأشخاص:

فيا أيها الإخوة الأكارم: إن الله تعالى -جلّ جلاله- خلق السماوات والأرض فخلق الأماكن، وخلق الأزمان، وخلق الأشخاص، واصطفى من أماكنه أماكن، واصطفى من الأشخاص أشخاصًا، واصطفى من الأزمان أزمانًا، فقالوا: إن لله تعالى خواصّ في الأزمنة والأمكنة والأشخاص فخلق الزمان وجعل شهر رمضان غرة الزمان، وخلق الليالي وجعل ليلة القدر غرة الليالي، وخلق الأماكن واصطفى منها بيوته، واصطفى من بيوته ثلاثًا لا تُشَدُّ الرحال إلا إليها: المسجد الحرام ومسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمسجد الأقصى، وخلق الأشخاص واصطفى منهم الأنبياء والرسل، واصطفى من الرسل أولي العزم، واصطفى من أولي العزم محمدًا -صلى الله عليه وسلم-، فقالوا: إن لله خواص في الأزمنة والأمكنة والأشخاص، والله تعالى عندما خلق الشهور قال -جلّ من قائل-:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ عَشْرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ لِلَّذِينَ
لَقِيتُمْ فَلَا تَطْلُمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ كُفٌ أَعْمَى وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَلِيظٌ مُتَقَبِّلٌ (36)

(سورة التوبة)

أي في هذه الأشهر الحرم، والنبى- صلى الله عليه وسلم- بين هذه الأشهر الحرم، فقال: -صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع:

فالحرب صعبة على الطرفين لكن عزة النفس وعزة العربي لا يقف حتى لا يُقال غُلب، فنأتي بالأشهر الحُرْم فيتوقف القتال فيذوق الناس طعم الأمن لعلمهم لا يعودون إلى تلك الحروب، طبقًا ليس الجهاد شيء آخر، نتكلم عن الحروب العنيفة التي هي عبارة عن داحس والغبراء، وقتال من أجل ناقة وكذا كما كان العرب، فجعلت لهم هذه الأشهر الحُرْم يتوقف فيها القتال بأمر الله تعالى وليس على مبدأ الغالب والمغلوب، هذه حكمة الأشهر الحرم في الأصل، لكن هؤلاء رغبناهم في متابعة القتال من أجل العنايم والإغارة... وكذا جعلوا يتلاعبون بدين الله تعالى، إذا نظرنا إلى هذا التلاعب قد يقول قائل: الجماعة 120 يوم ما قُصروا ورُغم ذلك قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا السَّبَبُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾** يُصَلِّ بِهِ **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا يَجْلُونَهُ﴾** **﴿عَامًا وَيَخْرُجُونَ عَمَّا لُؤَاپِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ﴾** **﴿لِللَّهِ﴾** العدد بالنتيجة جئنا به تمامًا، قال: **﴿فِيَجْلُوا مَا حَرَّمَ﴾** **﴿لِللَّهِ﴾** فشنع الله عليهم فعلتهم لأن الله أمرهم بشيء ثم استحلوا حرامًا حرمه الله تعالى، لذلك كان السلف يقولون: **﴿لا تنظر إلى صغر الذنب، ولكن انظر على من اجترأت﴾** المشكلة في أنك اجترأت -والعباد بالله- أنك العاصي الذي لا يتوب، العاصي الذي يفعل ويقول: ماذا فعلت؟! المشكلة أنك اجترأت على الخالق -جل جلاله- الذي قال لك: الربا حرام ثم رايبت، أو الزنا حرام ثم فعلت، فلا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت.

امتحان الحلال والحرام حاصل لا يتوقف:

اليهود كانوا يفعلون الفعلة نفسها بطريقة مختلفة، قال تعالى:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
﴿وَسَأَلْنَهُمْ عَنِ الْغَزْوَةِ﴾ **﴿الَّتِي كَانَتْ خَاصِرَةً﴾** **﴿لِتَجْرُ إِذْ يَعْذُونَ فِي السَّبَبِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِيئَانُهُمْ يَوْمَ سَبِيهِمْ سُرْعًا﴾** **﴿وَيَوْمَ لَا يَسْتُونُ﴾** **﴿لَا تَأْتِيهِمْ يَوْمَ سَبِيهِمْ سُرْعًا﴾** **﴿وَيَوْمَ لَا يَسْتُونُ﴾** **﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾** أي يوم لا يراعون أمر السبت لا تأتيتهم، يوم يقولون: هذا السبت لن نصيد سنتلزم تخرج الحيتان، هذا السبت لن نلتزم تذهب الحيتان؛ شيء غير طبيعي، قال: **﴿كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** تأتيتهم كذلك تلبوهم بما كانوا يفسقون (163)

(سورة الأعراف)

قرية من قري بني إسرائيل كانت على البحر مباشرة **﴿إِذْ يَعْذُونَ فِي السَّبَبِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِيئَانُهُمْ يَوْمَ سَبِيهِمْ سُرْعًا﴾**، هؤلاء قال لهم ربنا-عز وجل-: "هذا السبت مُعظَّم، الصيد يوم السبت ممنوع"، باتون للبحر يرون السمك يوم السبت يخرج سُرْعًا؛ يظهر على السطح، وهم بداخلهم يريدون أكل السمك، البارحة ما كان هناك سمك!!! **﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ جِيئَانُهُمْ يَوْمَ سَبِيهِمْ سُرْعًا﴾** **﴿وَيَوْمَ لَا يَسْتُونُ﴾** **﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾** أي يوم لا يراعون أمر السبت لا تأتيتهم، يوم يقولون: هذا السبت لن نصيد سنتلزم تخرج الحيتان، هذا السبت لن نلتزم تذهب الحيتان؛ شيء غير طبيعي، قال: **﴿كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** هذه العقوبة تأديبية بسبب فسقهم، فجعل الله تعالى عقوبتهم وابتلاءهم في هذا الأمر، وهذا مثله- أريد أن أصل إلى فكرة الموضوع- وهذا مثله جرى مع صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
﴿تَأْتِيهَا﴾ **﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** **﴿لِيَبْلُوَنَّهُمْ﴾** **﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ﴾** **﴿مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ﴾** **﴿أَيْدِيكُمْ﴾** **﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾** **﴿لِيَتَلَمَّ﴾** **﴿لِللَّهِ﴾** **﴿مَنْ يَخَافُهُ﴾** **﴿يُلْعَبِ﴾** **﴿فَمَنْ عَنَدِي﴾** **﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾** **﴿قَلَهُ﴾** **﴿عَدَابٌ﴾** **﴿أَلِيمٌ﴾** (94)

(سورة المائدة)

يخاطب المؤمنين، **﴿لِيَبْلُوَنَّهُمْ﴾** **﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ﴾** **﴿مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ﴾** **﴿أَيْدِيكُمْ﴾** **﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾** مُحرّم لبس ملابس الإحرام ودخل في النسك وخرجت له الغزلان وخرج له الصيد والعربي يحب الصيد، وصارت **﴿تَنَالُهُ﴾** **﴿أَيْدِيكُمْ﴾** **﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾** يمر من أمامه يستطيع إمساكه والصيد ممنوع **﴿تَنَالُهُ﴾** **﴿أَيْدِيكُمْ﴾** **﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾**، ما السبب؟ قال: **﴿لِيَتَلَمَّ﴾** **﴿لِللَّهِ﴾** **﴿مَنْ يَخَافُهُ﴾** **﴿لِلْعَبِ﴾** هي القصة امتحان، أحيانًا يسأل الإنسان ما الحكمة؟ يا أخي ألا يكفي أن الحكمة أنك تُمتحن، فتثبت أنك تحب الله تعالى أكثر مما تحب هذا الصيد، أو مما تحب هذا السمك؟! هي القصة امتحان فمجموع هذه النصوص تؤكد حقيقة؛ أن **﴿الْمُؤْمِنُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَعِيدًا عَنِ إِحْلَالِ مَا حَرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ الْأَرْضِ عَنِ السَّمَاءِ﴾** ما يسمى بالحيل يسمونها زورًا (حيلة شرعية) المؤمن ليس له إليها سبيل، المؤمن لا يحتال أن الحول يحول بـ1 شعبان على ماله، وهو بـ29 رجب يقوم بشراء بيت، يشتري ويقول: صار الآن بيتًا ليس عليه زكاة، وتم يقوم بعرضه للبيع؛ أي باختصار لا يتحایل المؤمن لأن القصة علاقة مع ربنا -عز وجل-، فلا يحاول أن يتهرب من زكاة ماله، ولا يقول لك: هذه التي أخذها عوائد وليست فوائد، هل إذا أبدلت الفاء ووضعت عينًا تمر؟! ولا يشربون الخمر يسمونها بغير مسمياتها مشروبات روحية، ولا يستمعون للأغاني الماجنة والمحزّمة التي فيها فسق وفجور، ويقول لك: هذا على الإذاعة غير المجالس، ويفعل أشياء لا ترضي الله -عز وجل- ثم يقول: الزمن تغير، ولا يقول لك: على الشاشة لا يوجد مشكلة في النظر، النظر المحرم هو النظر للمرأة مباشرة، هنا على الشاشة لا يوجد مشكلة والشهوة موجودة، والمحزّم موجود، والنظر الذي منعه الله موجود، أي أفعال اليهود في حيلتهم التي كانوا يسمونها حيلة شرعية، ما الذي كانوا يفعلونه؟ عندما يريدون أن يلتزموا بيوم السبت لا بد بأن يوم السبت يضعون -لأن الحيتان سُرع- يضعون الشباك ويضمونها لتصير عندهم كلها، يوم الأحد يأخذونها، تمام هكذا؟ يقول لك: سيدي هذا فقه؟ فيقول: والله صحيحة، الأحد أنا اصطدت وليس السبت.

المؤمن عنده حب لتنفيذ أمر الله-عز وجل-، هو يتفانى إخلاصًا في أنني أصليع الله تعالى فيما أمر، ليست القضية في أن أبحث عن فتوى أتهرب بها من قضية الشرعية، وإنما أنا بالعكس إذا قيل لي: "حرام"، حرام، حتى إذا قيل لي: إن هذا الأمر فيه شبهة يميل حيتًا إلى الحلال وحيثًا إلى الحرام فالتزم قوله -صلى الله عليه وسلم-:

{ دَعِ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طَمَئِينَةٌ وَإِنَّ الكَذِبَ رِيْبَةٌ }

(أخرجه الترمذي، وأحمد واللفظ لهما، والنسائي مختصرًا عن الحسن بن علي بن أبي طالب)

فالذي خطر ببالي في شهر رجب، جاءت الفكرة من النسيء وهو نقل الشهر، والثانية إلبصيد نضع الشباك يوم السبت ويخرجهم الأحد حيلة، والثالثة ما حصلت- الحمد لله- لأن صحابة رسول الله أشد الناس التزامًا، لكن رغم ذلك خاطبهم ربنا قال: **(لَيْبَلُوتِكُمْ لِلَّهِ بِشَيْءٍ مِّنْ لَّيْبَلُوتِكُمْ تَتَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاخِكُمْ)**، فالامتحان يا كرام بالحلال والحرام حاصل لن يتوقف، والحكمة في أن تُظهر أنت لله تعالى مدى التزامك بشرع الله تعالى، يقول لك أحدهم: أنا البارحة التزمت وتبركت المجالس، اليوم رفاقي لي فترة لم أرهم من سنة، اليوم اتصلوا وقالوا لي: تعال هناك سهرة، وسهرتهم لا ترضي الله عورات وكلام وحديث خارج، اليوم اتصلوا بي **(لَيْبَلُوتِكُمْ لِلَّهِ بِشَيْءٍ مِّنْ لَّيْبَلُوتِكُمْ)**، والله كان يوجد شخص بالشام له جلسة لا ترضي الله أبدًا وفيها خمر-والعياذ بالله- وبعدها ذهب للحج، أحد الشيوخ الذين أعرفهم قال له: إن شاء الله هذه الحجة كفارة لما قبلها، ومن اليوم تنتهي وكذا.... إلخ، اتصل به رفاقه: لا والله تعال، تأتي لا تأتي... ذهب للسهرة، عندما أصبح في الداخل المعصية لها قوة جذب، قوة جذب مخيفة مثل التيار الكهربائي، الا نقول: لا تقترب من منطقة التيار الكهربائي حتى لا يجذبك، لذلك ربنا قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قُلْ تَعَالَوْا أَنبِئُكُمْ مَا حَزَمَ رَبُّكُمْ عَلَيَّ كُمْ أَأَلَّا تَشْكُرُوا بِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ وَأَنَا لَشَاكِرٌ وَإِلَّا تَفْقَهُوا أَوْ لَدَيْكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ تَحْتِمْ
 رَبُّكُمْ وَإِنَّمَا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَفْقَهُوا شَيْئًا مِّنْ لَّدُنِّي حَزَمَ اللَّهُ إِلَا بِمِخْفَدِ لَكُمْ وَصَنَعَكُمْ
 بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151)

(سورة الأنعام)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَىَٰ إِنَّهُ كَانَ فَجِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32)

(سورة الإسراء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ لَّصِيَامٍ لَّزَقْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقَا
 عَنْكُمْ فَذَلَّ لَنْ تُبْشِرُوهُنَّ وَتَتَعَبُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكَلُوا وَشَرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمْ لَحْيَبٌ لَّابْيَضٌ مِنَ لَحْيَبِ لَابْيَضٍ مِنَ لَقَعْرِ ثُمَّ
 أَنْمُوا لَصِيَامَ إِلَىٰ لَيْلٍ وَلَا تُبْشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ يَلِكُ خُذُوا لِلَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ بَيِّنٌ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
 يَتَّقُونَ (187)

(سورة البقرة)

ابقي بعيدًا دع مسافة أمان، فهو لم يترك مسافة أمان" أذهب لكن لن أشرب" أحدهم سأله: كم كلفتك حجتك؟ كانت الحجة بوقتها تكلف حوالي سبعين أو ثمانين ألفًا قرابة الألف.. الألف وخمسمئة دولار، قال له: سبعون ثمانون ألفًا، قال له: هذه السبعون الثمانون ألفًا مني واشرب، من كلمة لكلمة شرب، توفي بعد أسبوع، فالابتلاء حاصل يا كرام، ربنا يريد أن يمدد، سيأخذ منك آخر الشيء موقوفًا إما أنت ثابت أو غير ثابت، فالإنسان يجب أن يجهز نفسه، أن يقول بلا امتحان فيقول: الله يبعد عني الحرام فلا يأتي- إن شاء الله- نسأل الله ذلك كلنا، نسأل الله ألا يفتتنا بشيء لا نستطيع قوة عليه لكن ربنا لا يكلف نفسيًا إلا وسعها، فالإنسان يوطن نفسه دائمًا بأن هناك **(بِشَيْءٍ مِّنْ لَّيْبَلُوتِكُمْ تَتَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاخِكُمْ)**، أي يوجد معصية قريبة منك لا تفعلها، أما إذا كانت المعاصي كلها مغلقة لم يعد هناك امتحان، يريد أن يسرق البيت ودهم عثروا الفقل، يريد أن يزني عمل حادث سيارة على الطريق، تحصل أحيانًا ربنا يؤدب الإنسان بحجبه عن المعصية، لكن آخر شيء يوجد شيء تناله يدك، كل إنسان فينا يوجد شيء تناله يده، مضطر لمبلغ مالي وموظف وجاءته رشوة، ربنا يريد أن يمتحنك ويرى هذا الصيد تلتقطه أم تتركه مثل صيد الحرم تمامًا، عندما تثبت لله -عز وجل- أنك أنت فعلاً مؤمن ولا ترضى فعل هذه المعاصي والآثام يبدأ بالمرحلة الجديدة التي هي مرحلة الإكرام و التمكن من ربنا-عز وجل-، تشعر بالثبات بعدها، تقول: أشعر نفسي أصبحت بمنطقة ثابت فيها، لم تعد تنيني سبائك الذهب اللامعة ولا سباط الجلادين اللادعة عن ديني، صرت في حرز، لا يوجد حرز 100% لأننا كلنا دائمًا في طور:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا كَتَبْنَا عَلَيْكَ الذِّكْرَ وَإِنَّا كَتَبْنَا عَلَيْكَ الذِّكْرَ (5)

(سورة الفاتحة)

{ كَتَّأَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَقَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّهَا النَّاسُ ارْتَبِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي تَفْسِي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ أَوْ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. }

(أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري)

لا حول عن معصيته، ولا قوة على طاعته إلا به -جل جلاله-، لا نستطيع أن نتقوى على طاعته إلا إذا أعاننا، ولا نحول عن معصيته إلا إذا أعاننا، وكلنا ذو خطأ، وخير الخطائين التوابون وكل بني آدم خطاء، ولكن إن شاء الله يصبح الإنسان بحرز بمعنى أنه تسره حسنته وتسوؤه سيئته، قال -صلى الله عليه وسلم-:

{ مَن سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمُ الْمُؤْمِنُ }

(أخرجه الترمذي، وأحمد باختلاف يسير عن عمر بن الخطاب)

إذا أحسن يُسر، وإذا جاءت سيئة من الصغائر تسوؤه فيتوب منها، هذا الحرز الذي قصدته، أما بالبداية لا بد من بعض...، الآن هناك مرحلة لكن أنا أعلم والله أن هناك أشخاصا ربنا مكثهم منها-نساء-الله أن يمكننا منها- حديث وإن كان فيه ضعف، صححه بعض أهل العلم، قال: " لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَتَعًا لِمَا جَنَّتْ بِهِ " أي بالإيمان الكامل، التام 100%، هذه مرحلة متقدمة جدًا، كل واحد منا يشعر بها بمكانها، أنا مثلاً أحسب الكرام الذين أحاط بهم الآن لا يوجد إنسان يرغب- والعباد بالله- بالزنا مثلاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِمَّنِ لَتَسَاءُ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَجِئَةً وَمَعْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (22)

(سورة النساء)

ليس لا يفعله لأنه حرام فقط ولكن لأنه فعلاً هو لا يجد في نفسه رغبة به، لأن هذا - والعباد بالله - دمار وكذا... إلخ، ربما بنفس الشيء مع الخمر، وهذا من نعم الله أن يكون هوك تبعاً لما جاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لكن بمرحلة معينة يصير فعلاً بكل شيء أمير بالقيام وهو يحب القيام، أمر بالصلاة وهو يحب الصلاة، نُهي عن الكذب وهو يقول لك: "ما أفحش الكذب!! لا أحبه ولا أحب من يكذب ولا أقترب ممن يكذب"، يصبح ما تهواه نفسه تبعاً لما جاء به رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فالقضية مدارها على أن ما يُسقى الحيل- وإن سمّوها حيلاً شرعية- ينبغي أن نتعد عن الحيل لأن مع ربنا-عز وجل- لا يوجد حيل، الحرام بين والحلال بين، فإذا كان الإنسان يريد أن يحتال على ترك الزكاة أو يحتال على أخذ الربا أو يحتال على أكل المنكرات فيكون حاله كحال من كانوا ينسوون في الشهر الحرام فيبدلون، أو كحال هؤلاء الذين كانوا لا يعظمون السبت كما أمرهم الله فيلاهم الله.

العقوبات التأديبية لبني إسرائيل:

بالمناسبة بنو إسرائيل كان هناك عقوبات تأديبية جدًا لهم -أجارنا الله تعالى منها-، ربنا -عز وجل- بسورة الأنعام عندما ذكر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَمِيَّةَ أَرْوَجٍ مِّنَ لِّصَافِينَ ۖ نَّارِ تَمِيمٍ ۖ وَصِيَ ۖ لِّمَعْرِبٍ ۖ نَّارِ تَمِيمٍ ۖ قُلْ ۖ أَعَدُّوا لَكُمْ حُرْمَ أُمَّةٍ ۖ أَنْتَبِينَ ۖ أَمَّا ۖ شَرِّ تَمَلَّتْ ۖ عَلَيْهِ ۖ أَرۡخَامُ ۖ أَنْتَبِينَ ۖ تَبُونِي يَعْلَمُ ۖ إِنْ كُنْتُمْ ۖ صٰدِقِينَ (143)

(سورة الأنعام)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فُل لَّا أُجِدُّ فِي مَا أُوجِي إِلَىٰ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَبْتَئًا أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ جَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ
فَسْقًا أَهْلًا لِعَيْبٍ لِلَّهِ بِهِ فَمَنْ ضُطِرَّ عَبْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ (145)

(سورة الأنعام)

إلخ، ثم جاء بعد ذلك جاء بما يسمى بالعقوبات التأديبية، فجاء بعقوبات بني إسرائيل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْإِبْرَةِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ لِحْيَاتُهُمَا
أَوْ مَا حَمَلَتْ يَدَاكَ ذَلِكَ جِزَاءُ نَجْمٍ يَتَّبِعُهُمُ الْغَايِبُ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ (146)

(سورة الأنعام)

البطة والوزة والإبل، كل ما كان ليس له أصابع منفصلة والأرنب؛ هو ليس حرامًا، ثم قال: أيضًا حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ (الإلية)، حُرِّمَ عَلَيْهِمْ (أَوْ لِحْيَاتُهُمَا أَوْ لِحْيَاتُهُمَا) التي على الظهر (مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا) (أَوْ مَا حَمَلَتْ يَدَاكَ) الشيء اليسير، (أَوْ لِحْيَاتُهُمَا) التي هي الأمعاء الغليظة أما الباقي مُحَرَّمٌ، آخر شيء ماذا قَالَ رَبُّنَا؟ قال: (ذَلِكَ جِزَاءُ نَجْمٍ يَتَّبِعُهُمُ) هذه عقوبة تأديبية، ربنا -عزَّ وجلَّ- كان يعاقبهم بسبب بغيتهم، اليوم لا يوجد تشريع أن يعاقبنا الله -نسأل الله السلامة- بسبب ما نفعله أمة الإسلام، لكن ينبغي أن نفهم من ذلك أن الإنسان ممكن أن يعاقب على مستوى الفرد إذا كان ابتعد عن منهج الله تعالى.

هل يجوز القتال في الأشهر الحُرْمِ؟

الأمر الأخير في هذا اللقاء الطيب متعلق بالأشهر الحُرْمِ وهو قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَالُونَ يُقِيلُونَكُمْ حَتَّىٰ بَرِّدُوكُمْ غَوْلًا بِدَمٍ كَثِيرٍ إِنْ سَتَعْلَمُوا مَن يَرْتَدُّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيِمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217)

(سورة البقرة)

أي هل في الشهر الحرام قتال؟ (قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) أي عظيم عند الله أن تنتهك حرمة الشهر وأن تقاتل فيه، الآن كلام مُسْتَأْنَفٍ جديد قال: (وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) هنا فكرة جديدة متعلقة، طبعًا هو سبب نزول الآية كما تعلمون النبي -صلى الله عليه وسلم- أرسل سرية قبل بدر بشهرين التي هي سرية نخلة، نخلة هي منطقة بين الطائف ومكة، بعثه كسرية استطلاعية، هناك غير لقريش استطلع وأرجع؛ استطلاع، ما كان هناك نية للقتال كانت الليلة الأخيرة بجمادى أو الليلة الأولى بربح؛ لأن هذه تعتمد على القمر، فالمنطقة حساسة يوجد قتال أو لا يوجد، قُتِلَ أَحَدُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِي هُوَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ بَعْدَ مَنَاوِشَاتٍ بَيْنَ السَّرِيَةِ وَكَذَا...، فالمشركون استغلوا الموقف وصاروا يقولون: المسلمون ابتدؤوا القتال في الشهر الحرام، الله أكبر!! تقاتلونا في الشهر الحرام؟! والنبي -صلى الله عليه وسلم- كثر ذلك عليه حتى الصحابة الذين كانوا بالسرية هم اثنا عشر تقريبًا أسقط في يدهم وخافوا أن يكونوا قد فعلوا كبيرة من كبائر الله في الشهر الحرام وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: " ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام"، للاستطلاع، قالوا: يا رسول الله اختلط علينا بين جمادى وبين رجب، فنزل قوله تعالى تطمينًا لهم وبياتًا للأمر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَالُونَ يُقِيلُونَكُمْ حَتَّىٰ بَرِّدُوكُمْ غَوْلًا بِدَمٍ كَثِيرٍ إِنْ سَتَعْلَمُوا مَن يَرْتَدُّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيِمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217)

(سورة البقرة)

لكن أتم الصد عن سبيل الله والكفر بالله والمسجد الحرام وإكراه الناس على الشرك بالفتنة- تفتنهم عن دينهم- هذا أشد من القتل الذي تحدثون عنه قتل شخص، فهذه الآية أيضًا فيها جانب تعليمي مهم جدًا لنا، وهو أنه من العيب أن يرى الإنسان عورة أخيه ولا ينظر إلى القذى في عينه، من المؤلم جدًا أن تكون ديار المسلمين اليوم مُستباح و القتل يُعمل بهم ويتعامى عن كل جرائم المجرمين ثم ينظر إلى أخطاء المجاهدين، من المعيب جدًا أن تتعامى عن الفصائح التي يفعلها الأعداء ثم تركز على أخطاء بسيطة متعلقة في أشياء يسوغ فيها الخلاف، من السيء جدًا أن يكون الإنسان يأكل الربا ويفعل الموبقات ثم يقول لك: فلان في الصلاة كأنه أنزل يديه قليلاً لو رفعهم قليلاً أو أنزلهم؛ هذه قضية فقهية تُعالج في مكانها لا يوجد أي مشكلة لكن من المعيب- أهل الشام كان عندهم مثل يقولون: يأكل الثور ويغص بالذنب ، الثور كله يتلعه وعندما يصل عند الذنب يغص فيقول: كأنه ثقيل على المعدة، والثور قد مّر كله ما شعر به- فمن المعيب جدًا أن الإنسان ينظر إلى أخطاء بسيطة يفعلها بنو جلدته و يتعامى عن بلايا أعدائه، وهذا اليوم نسمعه على وسائل التواصل الاجتماعي وكذا، "أن هؤلاء كأنهم من جماعة كذا، أو جماعة...."، الآن لا يوجد جماعة الآن هناك عدو عائش يستبيح دماءهم، هم إخواننا هم منا ونحن منهم ، لهم منا كل الدعم وكل الحب الخلافات جانبًا، فهذا أيضًا درس تأديبي من دروس الأشهر الحرم (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) لا نختلف، لكن الصد عن سبيل الله و الكفر بالله وإخراج الناس من المسجد الحرام ومنعهم من دخوله وإكراههم على الشرك هذا أشد من القتل، فهذا درس آخر من دروس هذا الشهر الحرام الذي أحببت الحديث عنه، هذا والله تعالى أجل وأعلم، والحمد لله رب العالمين.

نور الدين الاسلامي